



كلية اللغة العربية بأسسيوط
المجلة العلمية

اللامنتمي في شعر أبي العلاء المعري لزومية (قاف رؤبة) أنموذجاً

إعداد

د/ رجب احمد عبد الرحيم حسن

مدرس البلاغة والنقد الأدبي

كلية دار العلوم - المنيا

(العدد الأربعون)

(الإصدار الأول - الجزء الثاني)

(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

اللامنتمي في شعر أبي العلاء المعري

لزومية (قاف رؤية) أنموذجًا

رجب أحمد عبد الرحيم حسن

قسم البلاغة والنقد الأدبي، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر.

البريد الأكاديمي: ragab.ahmed@mu.edu.eg

المخلص

ترصد هذه الورقة البحثية مظاهر اللامنتمي عند أبي العلاء المعري، فهو شخصية فريدة، لها مذاق متفرد. صبت فيه روافد تراثية متنوعة، أجنبية، وعربية، ولكنه لا يشبه أياً من روافده، بل يختلف عنها؛ فهو قارئ مؤول للموروث، مبدع، وليس مقلداً، أو اتباعياً؛ شخصيته وأدبه، يمثلان اللامنتمي في كثير من مظاهره. وتعد هذه الورقة البحثية أول محاولة - فيما أعلم - لدراسة اللامنتمي في مجال الشعر. ولقد جاءت الدراسة في مقدمة، وخاتمة ومبحثين. المقدمة تحدثت فيها عن: أهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج، وخطة البحث، وجاء المبحث الأول بعنوان: أبو العلاء واللامنتمي، وتلاه المبحث الثاني بعنوان: تحليل اللزومية الرابعة عشرة (قاف رؤية) لبيان اللامنتمي فيها. وجاءت الخاتمة وبها نتائج البحث، وكان من بينها: مصطلح (اللامنتمي) شاع استخدامه، كمنظور نقدي، في نقد وتحليل كثير من القصص والروايات المعاصرة. كما أن اللامنتمي بحسب (كولن وسون)، يرى أكثر من اللازم، وأعمق من اللازم، ولقد رأينا في دراستنا، أن ذلك ينطبق على أبي العلاء المعري، فهو يرى أكثر من اللازم، وأعمق من غيره، فهو يحس بما لا يحس به غيره. كما أن اللزوميات، وما فيها من تعقيد لغوي، تعد وسيلة المعري للتعبير عن عدم انتمائه، فهو يرسم لنفسه قوانين لغوية، يتحدى بها غيره من المنتمين. واتضح من خلال تحليلنا للزومية:

(قاف رؤية) أن اللامنتمي عنده ينقسم إلى قسمين: اللامنتمي الداخلي في القصيدة (الرؤية السوداوية)، واللامنتمي الخارجي، ومن خلال هذين القسمين كانت هناك لا انتماءات فرعية، عبر عنها المعري بلغة شعرية تأبى المجاز، فالمعري يسيد المضمون على خيالات الشعراء .

الكلمات المفتاحية: أبو العلاء المعري - اللزوميات - الشعر - اللامنتمي - قاف رؤية - النقد الأدبي. (كولن ولسون).

The non-belonging in the poetry of Abu Ala Al-Maari

Obligation (Sap) as a model

Ragab Ahmed Abdul Rahim Hassan

Department of Rhetoric and Literary Criticism, Faculty of Dar Al Uloom , Minya , Egypt.

Email: ragab.ahmed@mu.edu.eg

Abstract :

This research paper examines the manifestations of non-affiliation according to Abu Al-Alaa Al-Maari, as he is a unique personality with a unique taste. Various heritage tributaries, foreign and Arab, poured into it, but it does not resemble any of its tributaries, rather it differs from them; He is a creative reader of the heritage, not an imitation or a follower. His personality and his literature, are non-affiliated in many of his guises. This research paper is the first attempt - as far as I know - to study non-belonging in the field of poetry. The study came in an introduction, a conclusion and two researches. The introduction talked about: the importance of the topic and the reason for choosing it, previous studies, the curriculum, and the research plan, and the first topic came under the title: Abu Alalaa and the Non-affiliated, followed by the second topic under the title: Analysis of the Fourteenth Imperative (Qaf Ra'ba) to clarify the non-affiliated. The conclusion came with the results of the research, and among them was: The term (non-affiliated) is widely used, as a critical perspective, in the criticism and analysis of many contemporary stories and novels. The non-affiliated, according to Colin Nixon, sees more than necessary and deeper than necessary, and we have seen in our study that this applies to Abi Ala Al-Maari, as he sees more than

necessary, and is deeper than others, as he feels what others do not feel. Likewise, imperatives, and the linguistic complexity in which they are, is al-Maari's way of expressing his lack of affiliation, as he draws up linguistic laws for himself, with which he challenges other belonging. And it became clear through our analysis of zumism: (Qaf Ra'ba) that his non-belonging is divided into two parts: the internal non-affiliation in the poem (the dark vision), and the external non-affiliation. Fantasies of poets.

Keywords:

Abu Al-Ala Al-Maari - Imperatives - Poetry - Non-affiliated - Qaf Ra'ba - Literary Criticism. Colin Wilson.

المقدمة

الحمد لله وحده ، سبحانه سبحانه، له الحمد والثناء، والأرض والسماء،
والصلاة والسلام على السراج والضيء، الشفيق النذير، صاحب اللواء ، وبعد .
أبو العلاء المعري شخصية فريدة، لها مذاق متفرد، لا تسير كما يسير
الناس، ولا تقول ما يقوله الناس، ولا تمارس المشي بخطية منطقية، ولا ينظر إلى
الحياة، كما ينظر الناس، فهي تأنف من ذلك كله، هي شخصية ترى أن الحياة
عبثية كلها، وهي تسير على أساس واه، أو كما يقول (كولن ولسون) في
اللامنتمي.

وبالرغم من أن المعري صبت فيه روافد تراثية متنوعة، أجنبية، وعربية،
ولكنه لا يشبه أياً من روافده، بل يختلف عنها؛ فالمعري قارئ مؤول للموروث،
قارئ مبدع، وليس مقلداً، أو اتباعياً؛ لذا فشخصية أبي العلاء المعري، وما أنتجه
من أدب، يمثلان اللامنتمي في كثير من مظاهره، فهو غير منتم لنفسه، ولا لمن
حوله؛ نظراً لما واجهه من محن كبرى، ونكبات عظمي، جعلته ينفر من نفسه،
وممن حوله، وظهر ذلك في كتاباته الشعرية والنثرية على حد سواء. وليس معنى
ذلك أن أبا العلاء يدعو للهدم والتدمير، لا ، فإن أبا العلاء يدعو للبناء عندما ينقد،
ويدعو إلى التغيير حين لا ينتمي.

ولقد راج مصطلح (اللامنتمي) في العالم العربي ، في الستينات والسبعينات
مع ترجمة الدكتور أنيس زكي حسن، لكتاب الأديب والمفكر الانجليزي (كولن
ولسون) - The Outsider الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٧م، وبالرغم من
أن الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب هي (الخارج) ، أو (المتمرد) ، إلا أن الترجمة
التي اختارها د . أنيس عنوانا للكتاب، وهي (اللامنتمي)، وجدت قبولا ورواجا بين

المثقفين، فتداولوها بكل سهولة، وربما يرجع ذلك إلى جاذبيتها، ودلالاتها اللغوية المباشرة (١).

وقد أغرى المصطلح (اللامنتمي) بعض الكتاب إلى استخدامه، كمنظور نقدي، تناولوا من خلاله، بعض الأعمال الأدبية، من ذلك :

- (المنتمي في أدب نجيب محفوظ) للكاتب المفكر المصري الراحل غالي شكري (٢) .

- (اللامنتمي في أدب الطيب صالح)، للكاتب السوداني الشاب ، خالد موسى دفع الله (٣) .

- (اللامنتمي وخطابه عند الطاهر وطار) دكتور. بحري محمد الأمين (٤).

- (اللامنتمي في أدب هاني الراهب : المهزومون أنموذجاً) عبد الكريم ناصيف (٥).

والى الآن لم أجد - فيما أعلم - دراسة عن اللامنتمي في الشعر العربي، وبذا تكون هذه الدراسة، أول دراسة نقدية عن اللامنتمي في الشعر العربي.

(١) ينظر: أنيس زكي حسن المترجم الفذ ومبتكر مصطلح (اللامنتمي)، موقع الناقد العراقي الإلكتروني، ١٢ / ١١ / ٢٠١٨ م.

(٢) دراسة لفكر نجيب محفوظ ، من خلال أعماله، بداية من مجموعة (همس الجنون)، حتى مجموعة (خمارة القط الأسود)، صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، عام ١٩٦٤ م .

(٣) صدر الكتاب في ١٩٩٣م، عن دار نشر، جامعة الخرطوم .

(٤) مجلة الأثر، عدد ٢٣، ٢٤ فيفري، ٢٠١١ م .

(٥) عبد الكريم ناصيف، اللامنتمي في أدب هاني الراهب (المهزومون أنموذجاً). الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، مج. ٣٧، ع. ٤٤٤، ٢٠٠٨م، ص. ٥١-٦١ .

وأما سبب اختيار الموضوع، فلبكارتته، ولجدته، فلم يتناوله أحد من قبل، على كثرة الدراسات النقدية، التي دارت حول أبي العلاء. فأبو العلاء وأدبه، خير ممثل لشخصية اللامنتمي التي تحدث عنها (ولسون)، في كتابه اللامنتمي؛ نظراً لعزله، وعدم تجانسه مع نفسه، ومع من حوله، ومع أفكار الآخرين .

وأما سبب اختيار قصيدة من ديوان اللزوميات للدراسة؛ فلأن ديوان اللزوميات يمثل طور العزلة، والنضج الفني عند أبي العلاء، ويعكس نظام حياته القاسي الذي ارتضاه لنفسه، فكان هذا الديوان معبراً عن التزام مالا يلتزم، في الجانب الحياتي، أو الفكري، أو الفني.

ومن ثم فإن المنهج النفسي كان سبيلنا الأول إلى إدراك مظاهر اللامنتمي في شعر أبي العلاء؛ ذلك لأن المنهج النفسي يتضمن وجود بنية نفسية متجذرة، في لاوعي المبدع، تتجلى بشكل رمزي على سطح النص، وأثناء تحليله، لا بد من استحضار هذه البنية. كذلك فقد أفدنا من بعض مفردات المنهج الفني؛ لإظهار ظاهرة اللامنتمي في لزومية (قاف رؤية) التي اخترناها أنموذجاً للدراسة .

وأما عن خطة البحث فهي كالتالي: يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة : نتحدث فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

المبحث الأول: أبو العلاء واللامنتمي .

المبحث الثاني: تحليل اللزومية الرابعة عشرة (قاف رؤية) لبيان اللامنتمي فيها.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله أولاً وأخيراً

المبحث الأول

أبو العلاء واللامنتمي

نأخذ في هذا المبحث - بإذن الله - في التعرف، على شخصية أبي العلاء المعري، ومظاهر اللامنتمي عنده.

١ - أبو العلاء المعري

هناك سببان اثنان يؤثران على الإنسان ليصير لا منتمياً، " الأول: البيئة التي يعيش فيها الإنسان. والثاني: طبيعة الإنسان الذي يعيش في هذه البيئة، وشدّة حساسية هذه الطبيعة، تجاه ظروف تلك البيئة . فكلما ازدادت طبيعة الإنسان حساسيةً، ازدادت لا انتمايئةً، مع العلم أنّ هناك طبعاً عن طبع يختلف " (١) .

و الشاعر اللامنتمي هنا هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان القطاعي التنوخي المعري، ويعرف اختصاراً ب (أبو العلاء المعري). ولد عام ٣٦٣هـ، في معرة النعمان ، شمال سوريا، وفيها توفي عام ٤٤٩ هـ. المعري أحد أشهر شعراء العصر العباسي. كان فيلسوفاً أيضاً. فقد المعري بصره مبكراً، بسبب مرض الجدري، فظل محبس العمى، وكذا محبس بيته، بعد اعتزاله الناس، ولذلك لقب بـ (رهين المحبسين) (٢) .

(١) نوح الكرامة ، في طبيعة اللامنتمي، صحيفة الدستور الإلكترونية، عمان ، تم نشره في الجمعة ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٥ . ٠٢:٠٠ مساءً.

(٢) ينظر سيرة المعري: ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م، 113١ /، والذهبي: تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ٩ / ٧٢١ - ٧٣٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ١٨ / ٢٤ .

ولقد تأثر المعري بأوضاع عصره، ذلكم العصر الذي ساءت فيه الحياة السياسية، فلقد تفرقت الخلافة العباسية إلى دويلات متناحرة، فعم الاضطراب، وانتشرت الصراعات، وساءت الأحوال الاقتصادية، فأثقل كاهل الناس بالضرائب، وضعفت العلاقات الاجتماعية بينهم، فانتشر الفساد، وعمت الفوضى .

ومن المعلوم أن أبا العلاء، قد عاصر أربع قوى رئيسة، وهي الحمدانية، أصحاب الأمر في حلب، وقد ضعف أمرها فيما بعد، والفاطمية أصحاب الأمر في مصر، وكان لهم مطامع في حلب، فحرصوا على دس الدسائس، وإرسال الجيوش لفتحها، والمرادسية التي عملت على إحداث الاضطراب السياسي في البلاد، إضافة إلى دولة الروم المجاورة التي لم تنقطع حروبها مع الدولة الإسلامية، كذلك عاصر المعري الدولة البويهية^(١)، وهكذا عاش المعري في فترة حالكة من تاريخ الإسلام والمسلمين، فترة تموج بالاضطرابات والفتن والمحن؛ مما كان له الأثر الكبير في محنته، وعدم انتمائه.

٢- اللامنتمي

في الخمسينات والستينات من القرن العشرين، " طغت على المكتبة العربية، موجة كاسحة من كتب الأدب، تنتمي للوجودية، إذ سارعت دور النشر في بيروت خصوصاً، والقاهرة، ودمشق عموماً، لترجمة كتب (كيركجارد)، (وكولن ولسن)، (جان بول سارتر)، (سيمون دي بوفوار)، (كامو).. الخ، ليعرض في أبرز الأمكنة،

(١) ينظر : ميسون محمود فخري العبهري، النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء، رسالة ماجستير ، تحت إشراف الدكتور : إبراهيم الخواجة. جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين. ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. ص ٢٢٦.

من واجهات المكتبات، اللامنتمي، دروب الحرية، المثقفون، الغريب.. الخ. ولينتشر بين بعض الناس، وخاصة الشبان منهم نمط من السلوك، يحاكي النمط الوجودي ذلك، ويعمل على اقتفاء أثره، في كثير من الجوانب والميادين: الفكرية، والاجتماعية، وحتى السياسية (١) .

ولكي نتعرف على اللامنتمي ، فإننا لا بد أن نتعرف أولاً على المنتمي، حيث نجده شخصاً يتوافق مع المجتمع، هو شخص متوائم، ومتوافق، ومتوازن مع من حوله، ومع التقاليد، والعادات، ومع الأنساق المختلفة، ونقده لسلبيات المجتمع ليس بالمغالي فيه، يحب مجتمعه، وأسرته وأصدقائه، هو إنسان اجتماعي، لا يميل إلى العزلة، ولا إلى جلد من حوله ، ولا جلد ذاته، دائماً عنده أمل في الإصلاح، وحل المشكلات، هو طموح للتغيير، عنده آمنيات يسعى جاهداً لتحقيقها، يسعى دائماً لإسعاد نفسه وإسعاد الآخرين.

أما الشخص اللامنتمي فهو على العكس من ذلك ، هو شخص غير متوافق مع المجتمع، وفي صدام معه، إما في العلانية، أو في الخفاء، يميل إلى العزلة، والانطوائية، والانزواء، يظن أن من حوله على خطأ دائماً، يجلد ذاته ، ويجلد مجتمعه، ولا يرضيه شيء، ويظن أنه يمتلك مفاتيح الحكمة، والفهم، والعلم والتفكير، لا يمكن أن يرضى بسهولة، وإن رضي ينقلب .

ولقد استهل (كولن ولسن) الفصل الأول من كتابه : (اللامنتمي) بالقول: إن اللامنتمي هو مشكلة اجتماعية، إنه الرجل الموجود في الحفرة"، ثم أخذ يحلل ويفسر هذه الشخصية الوجودية، حسب الموضوعات التي طرحها في الكتاب.

(١) عبد الكريم ناصيف، اللامنتمي في أدب هاني الراهب (المهزومون أنموذجاً)، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، مج. ٣٧، ع. ٤٤٤، ص ٥١.

فاللامنتمي يدرك ما تنهض عليه الإنسانية من أساس واهٍ، وهو ليس بشخص مجنون، لكنه يتمتع بحساسية، أكثر من أولئك المتفائلين، صحيحي العقول؛ وهو يروم الحرية، فهي مشكلته العويصة. كما أن "اللامنتمي يميل إلى التعبير عن نفسه، من حيث الوجودية، إنه لا يهتم بشدة بالتمييز بين الجسد، والروح، أو الإنسان، والطبيعة، فهذه الأفكار، تنتج التفكير اللاهوتي، والفلسفة، فهو يرفض كليهما، بالنسبة إليه، فإن التمييز الوحيد المهم، هو بين الوجود، والعدم (١).

وقد استخلص (ولسن) صفات اللامنتمي، من خلال تحليلٍ نفسيٍّ، لأشخاصٍ جاءوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، سمّاهم اللامنتمين، معتمداً في ذلك على شخصياتٍ واقعيةٍ، كالفيلسوف الألماني، (فريدرك نيتشه)، والفنان الهولندي، (فان كوخ)، وراقص الباليه الروسي (بازلاك نيجنسكي)، وعلى شخصياتٍ أدبيةٍ، كشخصية البطل في رواية الجحيم (لهنري باربوس)، و(كميرسول)، بطل قصة الغريب (لألبير كامو)، وبطل قصة (في قبوي) (لدستوفسكي) التي لم يذكر فيها اسم بطله (٢).

فاللامنتمي بذلك هو: المنتبذ المعتزل، الذي لا يساير الركب، ولا يعجبه ما تقول به الجماعة، روحه تنبض بالنقد، وبالنقض، وعدم القبول، فهو شخص يرى أنه يعرف أكثر، مما يعرفه الآخرون . واللامنتمي في اعتراضه على نواميس حياة المجتمع، إنما يود (٣) :

- طرح أسئلته المشككة في صحة سير العالم، و استقامته.

(١) ينظر: كولن ولسن: اللامنتمي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م، ص ٩ وما بعدها.
(٢) ينظر: السابق، ص ٥، ص ٩، ص ٢٧، ص ٥١، ص ٨٠، ص ١٢٦، ص ١٧٣، ص ٢١٠، ص ٢٤٢، ص ٢٩٥.

(٣) بحري محمد الأمين، اللامنتمي وخطابه في روايات الطاهر وطار، مجلة الأثر، عدد ٢٣، ٢٤ فيفري، ٢٠١١م، ص ٤٣.

- طرح أجوبته التي يثق في صحتها، و يرى فيها الخلاص لنفسه و للعالم.
- طرح بدائله التي يراها أنسب لهؤلاء الموافقين دوماً، و المنتمون دون نقاش
لحضارة مريضة يشكلون عضال مرضها، و يدفعونها للأمام قدماً، نحو مزيد من
التفكك.

وقد يُقال إنَّ اللامنتمي لا يحبُ الحياة ، ولكننا نرى مع الأستاذ نوح الكريمة أنه
يحبُّها أكثر من غيره، ولذلك ينتقدُها، ويثورُ عليها، فهو يطالبُها، بأن تعطيَ أكثرَ
مما تعطيه، وعندما يراها لا تفي بهذا الغرضِ، يأخذُها بالنقدِ، والرفضِ، والهدمِ،
والتخريبِ، وقد يُقال إنَّه ليسَ سعيداً. بل هو السعيد، ولكنَّه مسرفٌ، مبالغٌ، في طلبِ
السعادةِ، والبحثِ عنها، وعندما لا يجدها؛ يتشاءم . فهو متفائلٌ أولَ الأمرِ، متشائمٌ
في آخره (١).

فاللامنتمي إنسان مرهف الحس جدا ، يفكر أكثر من غيره، ويحلم بمثالية في
الأعالي، وعندما لا يصل إلى ما يحلم به، فإنه يعتزل، ويصير لامنتمياً، ففي كتابه
(في الغبال الجديد)، يقولُ ميخائيل نعيمة، واصفاً طبيعة نيتشه: « تلك هي
الظروفُ القاسيةُ، التي رافقتُ حياة نيتشه، من أولها إلى آخرها، والتي كانَ على
عبقريته الجياشةِ بالأحاسيسِ، والأفكارِ، والأخيلةِ، أن تتفتحَ فيها، فتزهرَ، وتثمرَ،
وتعطيَ أكلها. لقد كانت تلك العبقريَّةُ الفياضةُ، تطلبُ العافيةَ الكاملةَ، فكانَ نصيبُها
الوجع، وتطلبُ الحريةَ المطلقةَ، فلا تلاقي غيرَ القيودِ، والصدقِ، فما تحظى بغيرِ
الكذبِ، والقوةِ، فما تجدُ من حولها، غيرَ الضعفِ والضعفاء. وتطلبُ الحبَّ
والصداقةَ، فما تنالُ غيرَ الجفاءِ والرياءِ. فما كانَ منها إلا أن راحت تخلقُ لنفسها -
ولو بالقلمِ وعلى القرطاسِ - ذلك العالمَ الأمثلَ الذي كانت تتخيلُهُ وتترجاه. ولم يكنُ

(١) نوح الكريمة : في طبيعة اللامنتمي، صحيفة الدستور الإلكترونية، عمان ، تم نشره في
الجمعة ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٥ . ٠٢:٠٠ مساءً.

لها بدٌّ - قبل أن تخلق ذلك العالم - من أن تهدمَ عالمًا زائفًا، تعيشُ فيه بلحمِها ودمِها» (١).

واللامنتمون في الأدب، نجدهم، أو نجد أبطال أعمالهم، لا يعملون بوحى من سلطة، أو رقيب، أو إيديولوجيا. والكتابة لديهم تعني الحرية، بكل بهائها، ولا يمكن أن يكونوا أبواقا لكائن من كان، فهم لا ينتمون للسرب، ويأنفون من التخندق القسري، فأرواحهم عصية على التدجين، ولا تطيع إلا ما ينبثق من داخلها إبداعياً. "يميل اللامنتمي إلى التعبير عن نفسه بمصطلحات وجودية، ولا يهمله التمييز بين الروح والجسد، أو الإنسان والطبيعة، ذلك أن مثل هذه الأفكار تنتج تفكيراً دينياً، وفلسفة، في حين أنه يرفضهما معاً. إن التمييز الوحيد الذي يهمله بين الوجود والعدم" (٢).

والشعراء خصوصاً، كائنات تتماهى مع الحرية، والانطلاق، والتهويم في ملكوت الروح والخيال، ولا يناسبها الانحباس في هذه الأقفاس الهشة الوهمية، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]. يقول المعري (٣):

ألو الفضل في أوطانهم غُرباءُ تشدُّ وتَنأى عنهمُ القُرباءُ
فَمَا سبأُوا الرَّاحَ الكُمَيْتَ لِلذَّةِ وَلَا كَانَ مِنْهُمُ لِلخِرَادِ سِبَاءُ

(١) ميخائيل نعيمة، الغريال الجديد، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص ٢٠.

(٢) ولسون: اللامنتمي ص ٢٧.

(٣) أبو العلاء المعري: اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت) ١/ ٣٣، ٣٢. الراح: الخمر. وسبأت الخمر: إذا اشتريتها لتشهر بها. الكميت: من أسماء الخمر. والخراد: جمع خريدة، وهي العذراء. والسبأ: الأسر. فالمرأة تسبى الرجل بجمالها.

فالمعري بهذين البيتين، يعلن عن تفردّه، وتميزه، وعدم انتمائه، فهو نسيح وحده، هو غريب في الحياة وفي الأفكار، لا يأكل مما يأكلون، ولا يتلذذ بما يتلذذون، ولا يفكر كما يفكرون. فهو مترفع عن الجهل وعن اللذة، التي يقع في حبالها الكثير من الناس؛ لذا هو في حالة صفاء وسمو، فكلما ابتعد المرء عن اللذات الحسية، سمت روحه للأعالي، وحلق في السماء.

المبحث الثاني

تحليل الزومية الرابعة عشرة لبيان اللامنتمي فيها

اللزومية عبارة عن سبعة عشر بيتاً، يتضح فيه كل مظاهر اللامنتمي عند أبي العلاء، ونستطيع أن نتبين ذلك من خلال تحليلنا،^(١) على النحو الآتي :

أولاً- اللامنتمي شعرياً

يقول (ولسون) : " اللامنتمي يرى أكثر من اللازم، وأعمق من اللازم"^(٢) ونحن هنا نقول إن الشاعر أبا العلاء يرى أكثر من اللازم، وأعمق من غيره، فهو يحس، بما لا يحس به غيره، ويشعر بأدق الأشياء التي لا يحس بها، ولا يشعر بها كثير من الناس؛ لذا أحس المعري بالكلمات، والحروف، والجمل اللغوية، وموسيقا الشعر، وقوانينه، التي نمر بها مرور الكرام، ونعدها مجرد رموز جامدة، ليس بها حياة، لقد أضفى عليها المعري حياة، ونفخ فيها من خياله، فصارت كائنات حية، يأنس بها في وحدته، ويهفو إليها في خلوته، ويبث إليها شكايته، ويحاورها في لزومياته، حوار الخدن لخدنه، والحبیب لحبيبه.

اللامنتمي الشعري عند أبي العلاء في لزومياته، جاء على خلاف عادة الشعراء العرب، لقد أراد السير في طريق بكر، لم يسبقه إليه شاعر، فوضع لنفسه خطة محكمة، وسار عليها بوعي وإصرار. فقد التزم في القوافي ما لا يلتزمون، لقد التزم المعري أن تكون القافية على حرفين، أو أكثر، وأن تشمل أشعاره كل حروف لغة الضاد، وما يلحقها من الفتح، والضم، والكسر، والسكون، إذ كان لكل حرف باستثناء الألف، أربعة فصول: فلباء المضمومة فصل، وللمفتوحة فصل،

(١) ينظر اللزومية : المعري : اللزوميات ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) ولسون، اللامنتمي ، ص ١٠ .

وللمكسورة فصل آخر، وكذلك للباء الساكنة. وهكذا^(١). وفي هذا دلالة على مقدرة لغوية وعروضية، بالإضافة إلى التناول الفلسفي. فإذا كان المعري فقيراً فيما يملك من حطام الدنيا، فإنه عوّضَ عن ذلك ثراء لغويًا، منقطع النظر، وهذه الثروة اللغوية العظيمة، كانت هي السبب في إفراطه في بعض المسالك، الذي ولّد عنده ضرباً من الغلو اللغوي، والتعقيد الأسلوبي، الذي لا يبعد عن طبيعة شخصيته المركّبة العويصة.

لقد تجاوز المعري الشكل التقليدي للقصيدة، " فعرض الفكرة التي أراد معالجتها، على أنها فرض يتبعه برهان، وشعر أن المقطوعات ذات الموضوع الواحد، تساعده في بسط آرائه، فمال إليها. وجمعت «اللزوميات» الشعر والفلسفة، وهي مختلفة عن الشعر العربي، دعا فيها إلى مراجعة العقل العربي، وخرج من دائرة الذاتية، إلى دائرة الكونية، والإنسانية، فخرج بالشعر إلى العالمية، بعيداً عن الفردية، ونقدَ أسس الثقافة العربية^(٢)."

كما أن الأسلوب في اللزوميات، فخم، يعجّ بالمصطلحات العروضية، والصرفية، والفقهية، والطبية، والفلسفية، ويحتوي الديوان الكثير من الأمثال السائرة، والحكم الباهرة.

الشاعر اللامنتمي هنا قام في لزومياته، بنقد الفكر العربي عموماً، وشكك في كل شيء؛ من أجل الوصول للحقيقة؛ لذا لم يحتج لكي يعبر عما يريد به إلى خيال الشعراء، وإلى رقة الوجدان، فجمال الشعر - عنده - أن يلقي هكذا على حقيقته، بدون خيال كبير، و قد أشار إلى ذلك في المقدمة بقوله: " كان من سوائف

(١) ينظر: المنهج الذي اختطه المعري لنفسه في اللزوميات، (اللزوميات: المقدمة ١ / ١).

(٢) سمر الديوب، فيزياء الشعر: لزوميات أبي العلاء المعري أنموذجاً، موقع مجلة نزوى الإلكترونية، ١٣ أغسطس ٢٠١٩م.

الأقضية، أني أنشأت أبنية أوراق، توخيت فيها صدق الكلمة، ونزهتها عن الكذب والميظ. " (١) . فهو هنا يبتعد عن غلو الشعراء، وما ألفوه من خيال، (الكذب)، بكل مستوياته، ومن ضمنها غلو التخيل، فهو يريد غير ما أرادوا، ويطمح إلى غير ما طمحو. المعري يرفض أن يكون أحسن الشعر أكذبه، فهو سن قاعدة: أحسن الشعر أصدق، تفكيراً وتعبيراً.

وعلى حين نرى الكثير من الشعراء يهتمون بالمدلول، على حساب الدال، نجد أبا العلاء ولأول مرة في تاريخ العربية، يشرك الدال مع المدلول، في التعبير عن محنته، ونظرته للوجود، " فالدال عند أبي العلاء، محور مركزي في إستراتيجيته القرائية للوجود، ولا شك أن ذلك يدل على دور اللغة في توليد المعاني، التي استنبطها من داخل تجربته الوجودية، واللغوية. ومما هو حري بالتدبر، وجدير بالتأمل، ومستوجب للمقارنة، أن المعري يراهن على اللغة، لتصبح جزءاً من تجربته الوجودية" (٢) .

لقد كان معظم شعراء العربية، يمرّون على الوسيلة، دون الالتفات لها، وإنما يعينهم الغاية فقط ، ولكن أبا العلاء اعتنى بالوسيلة، وبالمدال، فلقد ضح فيهما الدماء، ووقفاً جنباً إلى جنب مع الغاية، فالشعر كان دالاً، فصار مدلولاً، يقول أبو العلاء (٣) :

والناس كالأشعار ينطق دهرهم بهم فمطلق دهرهم ومقيد

(١) المعري، اللزوميات ، ج ١ ص ١ من المقدمة.

(٢) محمود سليم هياجنة ، اللغة والوجود في التصور العلائى، اللزوميات أنموذجاً، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد ١٠، العدد ١ ج ، ٢٠١٣ م ، ص ٨٨٣، ٨٨٤.

(٣) المعري ، اللزوميات ١ / ٢٤٩ .

فالأشعار كائنات حية، فقد صارت وهي المعنوية، نستكشف بهم عالم المادية (الناس). كذلك يقول أبو العلاء (١):

اجعل تقاك الهاء تعرف همسها والراء كررها الزمان مكرّر
فالهاء كما نعرف من الأصوات المهموسة، والراء صوت تكراري، وهو هنا
يسترجع هذه الطاقات، ولكنه يريد أن يمتد بها؛ كي تعانق مداها الدلالي، فيغدو
تكرار الراء مثلاً، يعكس تكرار الزمن، وهمس الهاء، يقترب من التعبير عن التقوى،
بما فيها من خفوت، وجرس خفي (٢).

ثانياً - اللامنتمي وغياب عنوان القصيدة

في عدم تسمية اللزوميات عموماً، باسم معين، بل سماها لزومية، فالمعري
ألزم نفسه متعنتاً في إلزامها، بدون أن يفرض عليه ذلك من قوة خارجية. فالإلزام
قانون اخترعه المعري، إما عقاباً نفسياً، أو تحدياً للوجود وما فيه، فالمعري يريد أن
يقول للوجود: ها أنا ذا، أفعل ما لا يستطيع أن يفعله الآخرون، رغم ما أنا فيه من
محنة، ومن شظف العيش، وقسوة الحياة.

فباللزومية التي نحن بصدد تحليلها، نجدها كعادة الشعر العربي القديم الذي لم
يكن يعنون للقصائد، اكتفاء بمطلع القصيدة، يقول محمد صادق: " ونستطيع
القول منطقياً، وبعيداً عن تاريخ الأدب: إن اهتمام العربي قديماً بالنص، وجودته،
وربما تلقائية إلقاء الشعر والنثر، جعلته لا يلتفت إلى اختيار عنوانه، لحفظ عمله
من الاندثار والضياع، مع أشباه الغرض الواحد" (٣).

(١) السابق / ١ / ٣٢٠.

(٢) محمد عبيد الله: أبو العلاء المعري: المبصر في جوقة العميان، مجلة الكلمة الإلكترونية، العدد
١٢٣، يوليو ٢٠١٧م.

(٣) محمد صادق عبد العال، العنوان بوابة النص، موقع الألوكة الإلكتروني، ١٨/٢/٢٠١٨ ميلادي -
١٤٣٩/٦/٢ هجري.

فكثير من القصائد العربية، تعرف بحرف الروي فقط، مثل: لامية العرب للشنفرى، ولامية العجم (جامعة الأمثال والحكم)، التي أصبح لها شروح ومناهج دراسية، للوزير الشاعر الطغراني، ومطلعها (١):

أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحليّة الفضلِ زانتني لدى العطلِ

ثالثاً- ألالنتماء الداخلي في القصيدة (الرؤية السوداوية)

أبو العلاء المعري صاحب رؤية سوداوية، نتيجة لظروفه الصعبة التي مر بها، من فقدته لعينيه، وفقده لوالديه، وعدم تجانسه مع المجتمع المحيط، حكاما ومحكومين، ولذلك قال لتلميذه التميمي الذي طلب منه الرحيل لوالي مصر، بعدما أخفق في بغداد، لخلاف وقع بينه، وبين الشريف الرضي: "رغبنتي به يا إسماعيل التميمي، وزينت لي لقاءه، لو أني لم أكن في قيدين، وقيد واحد منها كاف، العمى والطبع، العمى يا تميمي مصيبة، إذا رافقه طبع سوداوي، كطبعي، ما أنا أول أعمى، ولكني أول رجل من العميان في هذه الغريزة، أنف أن أقاد كالكبش، ولا أغتفر لنفسي ذلة وتقصيرا" (٢). ومما يدل على طبعه السوداوي أيضا، ما قاله العقاد: "جسمه النحيل، وقامته القصيرة، ووجهه الذي أصيب بالجدي، وعينه الظاهرة، وعينه الغائرة في وجهه (٣)".

كذلك فلسفته العجيبة، وطبعه العجيب الذي ارتضاه، لنفسه من عدم أكل اللحم، أو ما ينتج عنه، فهو يرى أن في ذلك تعذيبا للحيوانات، وأبنائها، يقول (٤):

(١) ينظر القصيدة: السيوطي (الإمام جلال الدين ت ٩١١هـ)، شرح لامية العجم للطغراني، تدقيق أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/١٢٧-١٢٨.

(٣) ينظر: العقاد، رجعة أبي العلاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣/ ١٩٦٧م، ص ٥٩٢.

(٤) اللزوميات ٢/ ٢١٨.

أبى الله أخذى در ضان وماعزى وإدخالى الأمر المضر على السّخل
كان زاهداً من الصنف الرفيع، وعرف عنه تقشفه، وتجنبه للحاق بالأهواء،
وارتكاب المعاصي، ولم يعاقر الخمر، ولم يقرب النساء. وفصل ابن الجوزي بعض
مسلكه في حياته، فقال: "وبقي خمسا وأربعين سنة: لا يأكل اللحم، ولا البيض، ولا
اللبن، ويحرم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس خشن الثياب،
ويظهر دوام الصوم" (١).

ونتيجة لهذه الأفكار الغريبة والطباع العجيبة، لا نعجب أن نجده لا ينتمي لنفسه،
ناهيك عن غيره، فهو في تضاد، وشقاق، مع نفسه؛ لدرجة أنه يكره اسمه، ولقبه،
حيث يذم اسمه أحمد؛ لأنه يزعم أنه لا يستأهل كلمة الحمد، بل الذم (٢):

وأحمد سماني كبيرى، وقلما فعلت سوى ما أستحق به الذما

ويذم كنيته أيضا بقوله (٣):

دعيت أبا العلاء وذاك مين ولكن الصحيح أبو النزول

ويسمي نفسه رهين المحبسين، بل رهين ثلاثة سجون حيث يقول (٤):

أراني في الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبىث

لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس في الجسد الخبيث

(١) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ٢٢/١٦.

(٢) اللزوميات ٢/ ٤١٦.

(٣) السابق ٢/ ٣٤٨.

(٤) السابق ١/ ١٨٨.

فنحن أمام ثلاثة سجون، سجنان فرضا على أبي العلاء، وهما العمى، والحبس في البيت نتيجة العمى، وسجن ثالث أقامه المعري لنفسه هو " سجن فلسفيّ، تخيّل، كما يتخيل الشعراء، واشتقه من حقائق الأشياء، كما يفعل الفلاسفة، وما أكثر ما يلتقي الشعراء، والفلاسفة، في موقف واحد، يتفق فيه العقل، والخيال، جميعاً! " (١). ونتيجة لذلك فهو يتمنى، أن حواء لم تلد البشر (٢):

فَلَيْتَ حَوَاءَ عَقِيمٍ عَدَّتْ لَا تَلِدُ النَّاسَ وَلَا تَحْبِلُ

وفي تلك اللزومية التي نحن بصدد دراستها تظهر سوداويته، و عدم انتمائه الداخلي

، حيث يشبه نفسه بقاف رؤية بن العجاج، حيث يقول (٣):

ما لي عَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْيَةٍ قُيِّدَتْ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقَدَّرْ لَهَا إِجْرَاؤُهَا

وقاف رؤية محكوم عليها بالسكون، والوحدة، والانعزالية، والانهازامية، فليس من حقها الحركات الثلاث: (الفتحة، والضمّة، والكسرة)، بل عليها أن تبقى مكانها ساكنة إلى الأبد :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق (٤)

(١) طه حسين ، مع المعري في سجنه ، ص ٢٣ .

(٢) اللزوميات ٢ / ١٩٤ .

(٣) اللزوميات ١ / ٤٤ .

(٤) هي من عيون الأراجيز ، وقد حوت من الغريب، واللغة، والوصف، ما يندر في غيرها، قالها رؤية بن العجاج، في وصف فلاة ، ثم استطرد في وصف ناقة ، ثم وصف بها حماراً وحشياً ، وانقطع مع وصف الحمار، وقطيعه، حتى انتهى بوصف صائدها ، وصراعه مع الحمر الوحشية، في ملحمة رائعة.(ينظر: محمود محمد العامودي: منتقى من شعر الزمخشري لقصيدة رؤية بن العجاج، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٠م ، ص ٨٤٨). والقاتم: المغبر. الأعماق: النواحي. الخاوي: الخالي. المخترق : الممر.

فالشاعر يشبه نفسه بقاف، والقاف حرف في كلمة، والكلمة من شطر بيت، وشرط البيت جزء من قصيدة. فالتشبيه مبك وصادم، فهو غارق، ولا أحد يستطيع أن يحركه من مكانه، أو يغير مصيره، فمصيره مظلّم، عمى، وعزلة، ونفس لا يطيقها، كذلك قاف رؤية التي وقفت بسكونها، فلم تتحرك منذ أن وجدت قيد أنملة.

ويظهر أن المعري كان يريد أن يلف حول نفسه، وحول اللغة المغرم بها، فبدلاً من أن يشبه نفسه بشيء ظاهر في الوجود، يشبه نفسه برمز غير ملموس للناس، رمز مجرد لا يعرفه كثير من الناس، ولا يظهر تأويله، ومعرفة إلا لأهل اللغة، والمتبحرين فيها، ثم هو يركز على المشبه به (قاف رؤية)، فيغوص في الحرف، ويتفاعل معه، فحرف الروي القاف، مقيد أبد الدهر، لا يتحرك أبداً، فعل المعري ذلك؛ ليبين أن محنته الوجودية، يتعذر حلها، فهي غائرة في منطقة، لا يمكن الوصول إليها، ومضربة تضريباً، لا يمكن فك لغزه أبداً، وهو يقول لنا: إن استطعتم أن تحلوا مشكلة قاف رؤية، التي ألقى بها إلينا صاحبها مقيدة ومات، تستطيعون أن تحلوا مشكلتي الوجودية، وهو في هذا يشبه الاستحالة التي قالت بها الآية (٤٠) سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ .

والمعري مغرم باللغة وآدابها، في التعبير عن محنته الوجودية، وعدم انتمائه، ولذا يقول أيضاً (١):

غدوت أسيراً في الزمان كأنني عروض طويل قبضها ليس يبسط
فهو أسير في ذلك الزمان، لا يستطيع الفكاك من الأقدار، ومثله في ذلك، كمثل عروض الطويل، المحكوم عليه بعدم البسط. وتشبيه الشاعر نفسه بالحروف، أو

بالكلمات، أو بالأفعال، أسلوب معهود عن أبي العلاء، فهو يشبه نفسه أيضاً بالفعل المعتل (قال) حيث يقول (١) :

أُعَلِّتُ عِلَّةً قَالَتْ وَهِيَ قَدِيمَةٌ
أَعْيَا الْأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إِبْرَاؤُهَا

أعلت : وعلته لزومه داره، و فقدته لنظره، و شؤمه أيضاً، و كل هذه السجون، أو العلل، مرتبطة بالفعل: (قال) الأجووف الوسط، و الذي حار فيه أطبة الصرف، فهل عينه أصلها الواو أو الياء؟ فهي علة قديمة، والشاعر بذلك يشير أن حياته، قد طالت عليه، وثقلت، وألزمته سجونه، وما فيها من علل وآلام.

المعري يتماهى هنا مع اللغة، فيشبه علته بعلمها، ويزوب في المشبه به، مشخصا حالته المرضية؛ ليسقط ذلك على نفسه، فالفعل (قال) صاحب علة صرفية قديمة، وهي: هل ألفه واو ، أم ياء؟ ولذلك حار فيها أطباء الصرف، فلم يعرفوا لها علاجاً.

إن مشهد قاف رؤية المقيد، ومشهد علة (قال) التي لا علاج لها، فيه إسقاط على المعري نفسه؛ ولذلك قال (٢) :

طال الثواء وقد أنى لمفاصلي
أن تستبد بضمها صحراؤها

فالمعري هنا، يعيد تمثيل ما حدث للقاف، و ما حدث للفعل: (قال)، ويسقط ذلك على نفسه، فما حدث لقاف وما حدث للفعل (قال) ، حدث للمعري، فقد طال المكوث في عنائه هذا، وإذا كانت قاف، و (قال) لم يوجد حل لهما، بل هما في شقاء أبدي دائم، فالمعري وجد لنفسه حلا في الموت ، الذي لم تجده قاف، و (قال) . يقول (ولسون): " كل ذلك؛ لأن المنتمي لا يرى العالم معقولا، ولا يراه منظما، اللامنتمي

(١) اللزوميات ١/ ٤٤ .

(٢) السابق ١/ ٤٤ .

إنسان استيقظ على الفوضى، ولم يجد سبباً يدفعه إلى الاعتقاد، بأن الفوضى إيجابية، بالنسبة إلى الحياة، بأنها جرثومة الحياة " (١) .

والمعري يرى الراحة في التراب، ولاسيما الصحراء، فهو يريد العزلة حتى في الموت، ويطلب الراحة الأبدية في القبر (٢) :

أَعْفَى الْمَنَازِلِ قَبْرٌ يُسْتَرَاخُ بِهِ وَأَفْضَلُ اللَّبْسِ فِيمَا أَعْلَمُ الْكَفْنَ
ولذا فهو يرفض أن يوضع الميت في أي شيء غير التراب، فالتراب نعمة للميت، وهو نعم الصاحب والرفيق (٣) :

قَدْ يَسْرَوُا لِدَفِينٍ حَانَ مَصْرَعُهُ بَيْتاً مِنَ الْخُشْبِ لَمْ يُرْفَعْ وَلَا رَحْبَا
يَا هَوْلَاءِ اِتْرُكُوهُ وَالثَّرَى فَلَهُ أَنْسٌ بِهِ وَهُوَ أَوْلَى صَاحِبٍ صَحْبَا
وهكذا بدا لنا في تحليلنا السابق، أن أداة المعري في التعبير عن عدم انتمائه، كان في استنطاق اللغة، بكل نواميسها، وعلاقاتها؛ كي تعبر عن محنته الوجودية، وسوداوية نفسه، وعدم انتمائه لمجتمعه، معتمداً "على تأويله الخاص لمصطلحات الوجود اللغوي؛ إذ يعمد إلى تأثير هذه المصطلحات، وفق أساس وجودي، فيمنحها حياة وقوة، خاصتين، تخرجها من دائرة الجمود" (٤). ويفسر هذين الرمزتين قوله بعد ذلك (٥) :

طَالَ الثَّوَاءُ وَقَدْ أَنَى لِمَفَاصِلِي أَنْ تَسْتَبِدَّ بِضَمِّهَا صَحْرَاوُهَا
فَتَرَّتْ وَلَمْ تَقْتَرِ لِشَرْبِ مَدَامَةٍ بَلْ لِلْخُطُوبِ يَغَوْلُهَا إِسْرَاوُهَا

(١) نيكسون: اللامنتمي (بتصرف) - ص ١٤ .

(٢) اللزوميات ٢ / ٣٤٣ .

(٣) اللزوميات ١ / ٩٧ .

(٤) محمود سليم هياجنة، اللغة والوجود في التصور العلاني، اللزوميات أنموذجاً، ص ٨٩١ .

(٥) اللزوميات ١ / ٤٤ .

فالشاعر قد مل من طول المكث في الدنيا، وخاصة في محبسه هذا، لذا فهو يتمنى الموت؛ لأن الفتور ملأ نفسه وروحه، وهو يركز على أن الفتور لم يكن لشرب مدامة، فهو ليس من أهل المدامة، أو من أهل متع الدنيا، بل الفتور كان بسبب المصائب والمدلهمات.

وفي تلك الرؤية السوداوية، نلاحظ أن الملل والفتور، بسبب العزلة، وطول المكث، قد أثر على ما يكتبه، فهو يتلاعب باللغة، ويشبه نفسه بحروفها، أو نحوها، أو صرفها، أو عروضها، أو شعرها، وهو في هذا يشبه تقنية: (الحكاية داخل الحكاية) في ألف ليلة وليلة، أو تقنية المسرح داخل المسرح عند بيرانديللو^(١)، فقد أدخل الفن في الفن، ليكسر الحاجز الوهمي، بينه وبين المتلقي، فقد صار الفن لعبة، ومداعبة للغة، والأنس بها عن الناس.

فاللزوميات وما ألزم به أبو العلاء نفسه فيها، إنما كان نتيجة عزله في بيته التي استمرت نصف قرن، فماذا يفعل من يكابد الفراغ، وليس له زوجة، أو ولد، أو أنيس؟ ليس أمامه إلا اللغة ليلعب بها ومعها، يقول الدكتور طه حسين: "ما حكمة هذا التضيق على النفس والتقييد لها، وأخذها بهذا العنف الشديد، في اللفظ وفي المعنى، وفي الأسلوب وفي الغرض؟ وقد قلت في غير هذا الكتاب: إن حكمة هذا التخرج، تتصل بحياة أبي العلاء نفسها، وبالقانون الفلسفي الصارم الذي أخذ نفسه به، وأخضعها له في حياتها المادية والعقلية، من التزام العزلة، والإعراض عن النسل، والانصراف عن لذات الحياة، والإقبال على ألوان الرياضة العنيفة الشاقة. وهذا صحيح، ولكن من الصحيح أيضاً، أن أبا العلاء تسلّى بالشدة عن الشدة، وتلهّى بالرياضة عن الرياضة، واستعان على احتمال ما فرّض على نفسه من

(١) ينظر: بحثنا (المسرح داخل المسرح عند صلاح عبد الصبور في مسرحيته ليلي والمجنون)، مجلة اللغة العربية، جامعة الأزهر بجرجا، عدد ١٠، أكتوبر ٢٠٢٠م.

العنف، بتنويع هذا العنف نفسه، والافتتان فيه" (١). وبالرغم من أن أبا العلاء قد ألف لزومياته هذه؛ نتيجة عزلته، وفراغه، وأنه كما يقول طه حسين : "إن اللزوميات ليست نتيجة العمل، وإنما هي نتيجة الفراغ، وليست نتيجة الجد والكد، وإنما هي نتيجة العبث واللعب، وإن شئت فقل إنها نتيجة عمل دعا إليه الفراغ، ونتيجة جدّ جرّ إليه اللعب" (٢).

نقول إنه بالرغم من ذلك فإن أبا العلاء قد اتخذ اللغة متنفساً؛ ليعبر بها عن مأساته الوجودية، ونظرتة السوداوية، وعدم انتمائه لمن حوله ، لذا نراه يفعل كما يفعل شعراء الحدائثة يفجر اللغة، فهو أدري بعجبتها وخبزها؛ لذا "يعمد إلى توصيف الوجود وتجلياته، فيضاً، وتشكلاً، وانقلاباً، وتوليداً وفساداً، وسيطرة، وسبباً وعلّة، وتفاعلاً، وانفعالاً... الخ، بمفاهيم مستمدة من ظواهر اللغة العربية ، وأوضاعها المختلفة، إعراباً، وصرفاً، وصوتاً، وأوزاناً... الخ، حتى المصطلحات العروضية، لم تفلت هي الأخرى من الاحتضان، ومن ثم إدراجها ضمن التوصيف الذي تصوره ويصوره أو تبناه" (٣). فلهب أبي العلاء للغة وآدابها، صارت لحمه ودمه، فهو يعبر بها عن جميع قضاياها، ولذا يقول (٤):

هذي حروف اللفظ سطرٌ واحدٌ منها تُؤلفُ للكلام بحارٌ

فالمعري يعبر من خلال اللغة إلى أسرار الكون، فالمشار إليه هاهنا "هو الحروف الهجائية التي يأتلف الكلام منها، فهي بصورتها السديمية، أو الأولية، لا

(١) طه حسين ، مع أبي العلاء في سجنه ، مؤسسة هنداوي بمصر ، ٢٠١٤م، ص ٦٨.

(٢) السابق، ص ٦٥.

(٣) محمود سليم هياجنة، اللغة والوجود في التصور العلاني، ص ٨٨٤.

(٤) للزوميات ١ / ٣٣٢.

تشكل إلا سطرًا واحدًا، لكن بإتلافها تكوين غير متناه من الكلام، وكذا الوجود، متسع وممتد وغير متناه^(١).

رابعاً - الانتماء الخارجي في القصيدة - الرؤية العدوانية
كان المعري اللامنتمي في تنافر، وشقاق، مع الحكام والمحكومين والشعراء،
وظهر ذلك في القصيدة على النحو الآتي:

١ - عدم الانتماء للحكام

هناك ارتباط وثيق بين آراء المعري، وأحوال العصر، الذي عاش فيه. فأوضاع العالم الإسلامي، بدأت في التدهور منذ أن استبد الأتراك بالحكم، بعد مقتل الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان سنة ٢٤٧ هـ، وأصبح الأمر بيد الأتراك، وتطاولوا على الخلفاء عزلاً وسجناً وتعذيباً، وقد كان أسياذ بغداد، عرضة الكيد والدسائس، من الجند والوزراء تارة، ومن المقربين ونساء القصور تارة أخرى، وأصبح الخليفة العباسي لا حول له ولا طول، ومما زاد ضعف الدولة العباسية حينئذ، كثرة الثورات المذهبية والدينية، داخل الدولة مثل: الحركة الخرمية، وثورة الزنج، وثورة القرامطة، وتزايد نشاط الشيعة^(٢). ولذا يعلنها أبو العلاء صراحة^(٣):

مَلَّ الْمَقَامُ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرْتُ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أُمْرًا
ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَدَّوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرًا

فالمعري هو أحد الذين انتبهوا بذكاء، إلى فكرة نقد السلطة، قبل فوكو وعراها، ففي هذين البيتين، يعلن المعري تدمره من أمراء عصره، حتى تضيق عنه المعرة

(١) محمود سليم هياجنة، اللغة والوجود في التصور العلاني، ص ٨٩١.

(٢) ينظر، مارون عبود، زوبعة الدهور، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م، ص ٣١.

(٣) اللزوميات ١ / ٤٤.

على رحبها، وذلك لأنهم، في رأيه، يأمرون، لا بإصلاحها، وتأدية لوازمها، من إعمار، وتأمين تنميتها، وتقديمها، ولكن بعكس ذلك تماماً؛ كان يجب عليهم أن يخلصوا في إدارتها، وتأمين تقدمها، فهم بدلاً من ذلك أساموا الناس خسفاً، ورعوهم رعاية سيئة، وظلموهم، وأكلوا حقوقهم، وأجازوا لأنفسهم أن يكيدوا لها ويحقدوا عليها.

ويلاحظ أن هذين البيتين واضحان في الدلالة على المطلوب، بدون خوف، أو مواربة من الحكام، فالبيتان يعدان من النظم الخالي من المجاز، ولربما فعل المعري ذلك ليوصل رسالته بدون مواربة، لأنه يتحدث حديثاً عاماً، لا يوجهه لوال، أو أمير بعينه، وقد اختلف العلماء في خطاب المعري للحكام، فبعضهم يرى أنه كان صريحاً في نقده لهم، فلم يخشهم، فصرح بسبهم ونقدهم، فهو القائل^(١):

ملوكنا الصالحون كلهم زير نساء يهش للزيرة

ويرى الدكتور زكي المحاسني " أن أبا العلاء أخطأ في سكب إصلاحه، بقوالب هذا الشعر الذي لزم فيه ما لا يلزم، وعقد معانيه، وأوعد مبانيه، على الشعب الذي ينبغي أن يوضح لسواده، شعر سهل المباني، واضح المعاني، ليرجي تأثيره فيه، فيوظف عيونه النائمة، وينبه نفوسه الوانية الجانية " ^(٢).

ونحن لا نوافق الدكتور المحاسني على ما ذهب إليه، فاللزوميات ينبغي أن تدرس في عصرها الذي كان يفهمها، ولم ينقد أحد أسلوبها الذي ألفت به، كما أن أبا العلاء له أبيات صريحة وواضحة في نقد حكام عصره.

واضطر المعري " في بعض الأحيان - على كره منه - إلى المداراة وإلى شيء من "التقية" السياسية واضطر إلى مقابلة بعضهم، كما في مواجهته للأمير صالح بن

(١) اللزوميات ٣٧١/١.

(٢) زكي المحاسني، أبو العلاء ناقد المجتمع، ص ٥٧ - ٥٨.

مرداس وردّه عن المعرة. وكذلك مراسلاته في أواخر حياته، مع داعي الدعاة الفاطمي الذي كان عقلاً ولساناً للدولة الفاطمية. في هذه المواقف نجد المعري وهو يعاني الحرج، ويتكره، أو يتحرّج من هذه اللقاءات، ويحاول أن يجد سبيلاً للنفوذ منها. والتخلص من إكراهاتها، بطريقة علانية متميزة^(١).

٢- عدم الانتماء للشعراء

كان الشاعر الجاهلي معتزاً بنفسه مفتخراً بها، لا يذل نفسه لأحد، حتى ابتليت الأمة بشعراء المديح، ولاسيما في العصر الأموي، والعباسي، حيث صار الشاعر أداة في يد الحاكم، فهو الواجهة الإعلامية الذي يمجده ويسبح بحمده، وحتى أن بعض الشعراء كان يمجّد بطش الحاكم، وجبروته، ويشعره؛ تثبيتاً للملك، ودفاعاً عن هيبة الدولة، ولم ينج من هؤلاء إلا القليل، كان منهم المعري حيث يقول^(٢):

فِرْقاً شَعَرْتُ بِأَنَّهَا لَا تَقْتَنِي خَيْراً وَأَنَّ شِرَارَهَا شُعْرَاؤُهَا

والمعري نموذج للمثقف الحقيقي، الذي عرف دور المثقف، وأن الحقيقة هي أداة تنوير صداحة بالحق، فتم تشويبه، والطعن في دينه، وحتى اعتزل الناس، لكنه ظل منارة يحتكم للعقل، وسط الكتيبة الخرساء، يقول المعري^(٣):

وما أدب الأتوام في كل بلدة إلى المين إلا معشر أدباء

ولذلك نجد في اللزوميات شاعراً لا منتمياً للشعراء، فقد تميز ديوانه عنهم، بما ألزم به نفسه في القافية، وقد حمله عليه مزاجه الخاص به، في تحمل ما لا يتحمل سواه من التزامات، كالعزوبة، وعدم أكل اللحم، والإسراف، في البساطة.

(١) محمد عبيد الله، أبو العلاء المعري: المبصر في «جوقة العُثمانيان»، مجلة الكلمة الإلكترونية، العدد ١٢٣، يوليو ٢٠١٧م.

(٢) اللزوميات ١ / ٤٤.

(٣) السابق ١ / ٣٥.

كذلك عدم تطرقه للأغراض الشعرية التي يتطرق إليها غيره من الشعراء: (الفخر، والمديح، والرثاء، وغيرها)، وما وجدناه من مدائح قليلة عند المعري لبعض الأمراء، فهو من باب التقية، وربما كان يتملق بعض الناس من أرباب السلطة، ليس ليكسب منهم، لكن ليتقي شرهم .

لقد انصرف المعري بعيداً عن الشعراء إلى معرفة سر الحياة، وتجلية مظاهرها، والتفكير في الوجود بنظرة فلسفية معمقة. كذلك ابتعاده عن الخيال، كما يفعله الشعراء، بل نجده يلج للحقيقة مباشرة، بنظرة فلسفية تحليلية ناقدة، لنفسه وللكون حوله. منتمياً للإنسانية عامة، دون انتماء لمذهب، أو حزب، أو جماعة.

٣- عدم الانتماء للفقهاء والقراء والفرق

يرى ألبير كامو "أن التمرد هو الدافع الذي يدفع فرداً ما، على الدفاع عن كرامة، هي مشاع بين الناس كلهم، لذا فهو يصرخ قائلاً: أتمرد ولذلك نحن كائنون (١)؛ لذلك نجد المعري متمرداً على الوضع السائد في عصره، فلا يعجبه ما يفعله القراء، والفقهاء، ولا الفرق، فهو يرى أن هؤلاء المنوط بهم إصلاح الناس، بما يحملونه من رسالة سامية- يراهم انحرفوا عن الجادة، وتكبووا طريق الحق، وتسابقوا للظفر بلعاعة من لعاعات الدنيا؛ ولذا يقول (٢):

وَتَقَرَّتْ لِنِئَالِهَا قُرَاؤُهَا

وَتَجَادَلَتْ فُقَهَاوُهَا مِنْ حُبِّهَا

(١) صالح بن إبراهيم السكاكر، الإنسان الآخر، دار مدارك للنشر، الطبعة الأولى، فبراير

٢٠١٨م، ص ١٦١.

(٢) اللزوميات ١ / ٤٤. تقرأت: تنسكت، ويقصد هنا: الرياء في العبادة.

وأبو العلاء غدا لا منتميا، لهذا الصنف من الناس، لما رآه من عدم صدقهم واقعيًا ، فهم يقولون مالا يفعلون، ويعظون غيرهم، وهم في الشر واقعون ، ، ولذا يذمُّ الحياة الدينية على وجه العموم، فيقول (١) :

رويدك قد غررت وأنت حرٌّ بصاحب حيلةٍ يعظُ النساء
يحرّم فيكم الصهباء صبحًا ويشربها على عمدٍ مساء
يقول لكم غدوت بلا كساءٍ وفي لذاتها رهن الكساء
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهةٍ أساء

ومما جعله يكره الانتماء للفرق ؛ كثرتها كثرة مقيتة، فشيعة، وخوارج، ومرجئة، وغيرها، مما جعله، يقول (٢) :

ملل غدت فرقا وكل شريعة تبدي لمضمر غيرها إكفارها .
ويقول أيضا (٣) :

دَعَوْا وَمَا فِيهِمْ زَاكٌ وَلَا أَحَدٌ يَخْشَى الْإِلَهَ فَكَانُوا أَكْلَبًا نُبْحَا
وَهَلْ أَجَلٌ قَتِيلٍ مِنْ رِجَالِهِمْ إِذَا تُؤْمَلُ إِلَّا مَا عَزَّ ذُبْحَا
خَيْرٌ مِنَ الظَّالِمِ الْجَبَّارِ شِمْتُهُ ظَلَمٌ وَحَيْفٌ ظَلِيمٌ يَرْتَعِي الذُّبْحَا
وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ دِينٌ وَلَا نُسْكٌ فَلَا تَعْرِكُ أَيْدٍ تَحْمِلُ السُّبْحَا
وَكَمْ شَيْوِخٍ عَدَوْا بِيضًا مُفَارِقُهُمْ يُسَبِّحُونَ وَبَاتُوا فِي الْخَنَا سُبْحَا
لَوْ تَعَقِلُ الْأَرْضُ وَدَّتْ أَنَّهَا صَفِرَتْ مِنْهُمْ فَلَمْ يَرَ فِيهَا نَاطِرَ شَبْحَا
ويقول في القراء (٤) :

(١) السابق ١ / ٥٠، ٥١ . الصهباء : الخمر.

(٢) السابق ١ / ٣٦٨ .

(٣) السابق ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٤) اللزوميات ١ / ٣٥٧ .

فلا يُعْرَنُكَ من قُرْآننا زُمَرٌ، يتلونَ، في الظُّلمِ، الفُرْقانَ والزُّمرا
يُقامرون بما أُوتوه من حِكَمٍ، وصاحبُ الظُّلمِ مَقمورٌ إذا قَمرا
يُبيدي التديّنَ، محتالاً، ضمائرُهُ غيرُ الجميلِ، إذا ما جسمُهُ ضمرا
يشدو مزاميرَ داودٍ، ويفضُّهُ، في النُّسكِ، نافحُ مزمارٍ له زمرا

أبو العلاء، شيخ المعرة - رحمه الله - شيخ عقلاني، " مؤمن من نوع فريد، صدق بالنتيجة الكلية، ولكنه لم يطمئن إلى الطرق الموصوفة إليها، ومن هنا نسوي بعض ما قد يظنّه القارئ تناقضاً، أو مفارقة، بين إقراره الإيماني في مواضع كثيرة، من شعره ونثره، ونقده أو تجديفه، في مواضع أخرى. إنه لا يجدف إلا ضد ما يعده طرقات مستهلكة في معرفة الله، وهي طرق لم تقتعه، ولم تدل عقله المضنيء، فالخلق ليس عبثاً، وفق منظوره، ولكن ما لم تتوصل الأذهان والعقول إليه، هو فهم التفاصيل إلى تلك الكليات فهما سليماً" (١).

٤ - عدم الانتماء لأهل عصره

إن عاهة العمى التي أصيب بها المعري، قد أثرت في عدم انتمائه لأهل عصره، " فبيئة المكفوفين مشبعة بالدنو والتقصير؛ لذا كان لا بد من فهم طبيعة التقصير هذا، حتى نفهم المكفوفين أنفسهم، فاللوم الذي يوجهه المجموع للمكفوفين، لتقصيرهم وعدم اللحاق بهم، يقف عاجزاً بينهم وبين التكيف، إذ يكسوهم برداء الكآبة والسقم، والعمل لعزلهم عن البيئة الاجتماعية المحيطة بهم، ويبدو هذا جلياً في سلوك أبي العلاء المعري، حيث آثر العزلة، وعدم الاختلاط بالبيئة الاجتماعية المحيطة به" (٢).

(١) محمد عبيد الله، أبو العلاء المعري المبصر في جوقة العميان، مرجع سابق.
(٢) ميسون محمود فخري العيهرى، النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعري، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف دكتور إبراهيم الخواجة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ٣٨، ٣٩.

فالمعري مشحون بطاقة سلبية، مفعمة بالتشاؤم ممن حوله، ولقد رسم لهم صورة قاتمة في مخيلته، ترعب المتلقي منهم، وتجعلنا نشفق على المعري اللامنتمي، فوجههم بها كلف، ولا ندري كيف تخيل المعري كلف الوجوه، إلا إذا أحسه من نفسه أولاً، والأفواه بها عداوة، والقلوب سوداء، والعيون بها الكثير من العداوة؛ ولذلك كنى عنها بالزرق، وكان يتمنى لو يتخذ طريقاً، يبتعد عنهم، ولكن حال العمى بينه وبين الهروب (١) :

وَجُوهُكُمْ كُفٌّ وَأَفْوَاهُكُمْ عِدَى وَأَكْبَادُكُمْ سُودٌ وَأَعْيُنُكُمْ زُرُقٌ
وَمَا بِي طِرْقٌ لِلْمَسِيرِ وَلَا السُرَى لِأَنِّي ضَرِيرٌ لَا تُضِيءُ لِي الطَّرْقُ

وبلغ من حنق المعري على من حوله، أن بحث عن سبب الخطيئة في الكون، فوجده في آدم الذي كان بسبب هذه الذرية (٢) :

سعى آدم جد البرية في أذى لذرية في ظهره تشبه الذرّاً
ولذلك أبى أبو العلاء أن يتزوج ؛ حتى لا ينجب من يتعب بعده؛ ولذا يقول:

هذا جناه أبي عليّ أنا ما جنيتُ على أحد

ويقول المعري أيضاً (٣) :

تَوَاصَلَ حَبْلُ النِّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمَ وَبَيْنِي وَلَمْ يُوَصِّلْ بِلَامِي بَاءً
تَتَاءَبَ عَمْرُو إِذْ تَتَاءَبَ خَالِدٌ بَعْدَى فَمَا أَعَدَّتِي التُّوْبَاءُ

فالمعري يقصد أن حبل النسل الموصول من آدم لذريته، انقطع عند أبي العلاء الذي لم يتزوج ولم يرغب في النساء. والمعري يرى أن عدوى التناسل أصابت البشر، فتناسلوا جيلاً تلو جيل، فهم يتناسلون من دون

(١) اللزوميات ٢ / ١١٩ .

(٢) السابق ١ / ٣٥١ .

(٣) السابق ١ / ٣٤ اللام من الإنسان : شخصه . النكاح .

وعي، أو إدراك؛ ولذا فهم يشبهون في ذلك المتثائب الذي يطلق الثائب، فيصيب الجميع، ويعلن المعري أنه قد نجا من ذلك، فهو اللامنتمي الوحيد بينهم.

كذلك كان من دواعي عدم انتمائه لعصره، ما شاهده من انحلال سياسي، واقتصادي، واجتماعي، وهذا ما رغبه في العزلة، وجعله يقول في رسالة الغفران: " أفلا يرى إلى هذه الأمة، كيف افتتنت في الضلالة، كافتتان الربيع، في إخراج الأكلاء، والوحش الراتعة في تريبب الأطلاع" (١) ! فأحوال عصره " لم تزد على أن زهدته في الحياة، وحملته على التفكير والدرس، وأن هذا درس وذلك التفكير، هما اللذان أنتجا له كثيراً من آرائه الخاصة في الفلسفة على اختلاف فنونها " (٢). ومصادر فلسفة أبي العلاء هي ما مر به من حياته من مدلهامات، كذلك دراسته للفلسفة اليونانية في أنطاكية، واللادقية وبغداد، كذلك اطلاعه على الفلسفة الهندية بعد فتح الهند، ومن مصادر الفلسفة العلائية كتب الدين على اختلافه؛ فإن أبا العلاء قد درس الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والمجوسية (٣).

لقد خالف أبو العلاء البيئة الاجتماعية التي عاش فيها ، " فخالف هذه القاعدة، وشذَّ عن هذا القياس، وأبى إلا أن يكون مستقلاً العلم والعمل، منبعثاً في حياته وآرائه عن نفسه وشخصيته، ولقد رأينا أبا العلاء، يخالف

(١) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، طه / ١٩٦٩م، ص ٤٩٨. الأطلاع : جمع طلا وطلو، وهو ولد الظبية ساعة يولد، وتريبب الصغير : تربيته حتى يدرك.

(٢) طه حسين ، تجديد ذكرى أبو العلاء ص ٢١٤ .

(٣) ينظر ، طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٢١٥ . ص ٢١٦ .

عادة قومه، فيسلك في حياته طريقاً خاصاً، وكذلك في درسه وعلمه، بل هو لم يرضَ أن يكون مستسلماً لمألوف الاجتماع، حتى لم يستطع أن يجاريهم في شيء، كل الناس يُجَارَى فيه؛ لاعتزازه بسلطان الوراثة والوجدان والقوة السياسية، وهو الدين، فلمْ خالف أبو العلاء قومه، وسلك طريقه الخاصة في الحياة ؟ وبعبارة موجزة: لمْ كان فيلسوفاً (١) .

وفي تلك اللزومية أيضاً، يرسم المعري صورة سوداء قاتمة للأمة التي يعيش فيها (٢)

أَثَرَتْ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ بَرَعِمِهَا	وَأَجَادَ حَبَسَ أَكْفَهَا إِثْرَاوُهَا
وَإِذَا النُّفُوسُ تَجَاوَزَتْ أَقْدَارَهَا	حَدَوُ الْبَعُوضِ تَغَيَّرَتْ سَجْرَاوُهَا
كَصَحِيحَةِ الْأَوْزَانِ زَادَتْهَا الْقُوَى	حَرْفًا فَبَانَ لِسَامِعِ نَكَرَاوُهَا
كَرَيْتَ فَسَّرْتَ بِالْكَرَى وَحَيَاتُهَا	أَكْرَتَ فَجَرَ نَوَائِبًا إِكْرَاوُهَا
سُبْحَانَ خَالِقِكَ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ	عَبْرَاءَ تَوَقَّدُ فَوْقَهَا خَضْرَاوُهَا
هَلْ تَعْرِفُ الْحَسَدَ الْجِيَادُ كَغَيْرِهَا	فَالْبُهْمُ تُحْسَدُ بَيْنَهَا عَزْرَاوُهَا

حيث يقوم بتحليل شخصية هذه الأمة، فهي أمة وعلى رأسها الحكام ، زعمت أنها كريمة، ولكنها غير ذلك ، فهي ضنينة شحيحة، ويحلل المعري نفسية تلك الأمة، التي تجاوزت وتخلت عن مبادئها، فتخلى عنها المصلحون، والأصدقاء ، والمعري من طرف خفي يشير إلى نفسه، فلقد تغيرت نفسيته تجاه أمته، غير الثابتة على المبادئ القويمية.

لقد ظهرت نكتة سوداء في رداء هذه الأمة، فأحدثت خلافاً واضحاً، فهي في ذلك كأنها القصيصة من الشعر، حيث يزينها الوزن الصحيح، فإذا زاد حرف في ذلك الوزن، ظهر النشاز، وعدم الانسجام في موسيقاها.

(١) السابق، ص ٢١٣ (بتصرف).

(٢) اللزوميات ١ / ٤٤ .

هي أمة الكسل والنوم، وهي التي تتلذذ بالخمول والكسل، وهي أمة كلام، فما أكثر المتكلمين وما أقل العاملين، ولذا جاءت النوايب عليها من كل حدب وصوب، فلقد تفرقت فرقا، ولقد طمع فيها أعداء الداخل والخارج.

وكان المعري يوصف حال أمتنا العربية والإسلامية اليوم، ويضع يده على مكنن الداء الذي أخرها عن ركب التقدم، والحضارة، وجعلها في ذيل الأمم.

والمعري في تشخيص داء الأمة، لا يوجه رسالة تحذيرية لإصلاحها، فليته فعل ما فعله لقيط بن يعمر الإيادي الذي حذر أمته من هجوم الفرس، فقال (١):

أَبْلَغُ إِيَادَا وَخَلَّلُ فِي سَرَائِهِمْ إِنِّي أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُعْصَ قَدْ نَصَعَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي أَنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ شَتَّى وَأُحْكِمَ أَمْرَ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
أَلَّا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَا لَكُمْ أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدَّبَا سُرْعَا

كنا نتمنى من المعري أن يوجه في تلك القصيدة، خطابه لإصلاح الأمة، لكنه آثر أن يكون لا منتميا منعزلا؛ ولذا دعا في لزومية أخرى إلى عزلة الناس فقال (٢):

فانفرد ما استطعت فالقائل الصادق يضحى ثقلا على الجلساء

وهو يواصل في هذه اللزومية تشخيصه لحال الأمة فيقول :

سُبْحَانَ خَالِقِكَ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَبْرَاءُ تَوْقَدُ فَوْقَهَا خَضْرَاوُهَا
هَلْ تَعْرِفُ الْحَسَدَ الْجِيَادَ كَعِيرِهَا فَالْبُهُمْ تُحْسَدُ بَيْنَهَا غَزَاوُهَا

يقول : سبحانك اللهم، لقد جلّ شأنك، وخفيت حكمتك على العقول، بسطت الغبراء، ورفعت فوقها الخضراء، وأجريت بينهما عالما، ما أعرف للخير فيه موضعا، عالم عاقل، ولكنه شرير. هل تعرف ردائله الحيوان العجم؟ هل تشاركه فيها

(١) لقيط بن يعمر الإيادي: ديوانه، شرح وتحقيق: الدكتور محمد التونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ٧٦، ٧٧.

(٢) اللزوميات ١ / ٥٦.

المخلوقات البئله؟ هل تحسد الجياد السود القاتمة أخواتها الغرّ الواضحة؟ كلا ما أرى للحسد فيها أثراً، وإنما هو طبيعة الإنسان، قد أفسده الطمع والشره، وغيره البخل والحرص^(١).

٥ - عدم الانتماء للعالم

يقول (ولسون) عن اللامنتمي: "إن ذكاه المتجدد يجد نفسه في مواجهة حقائق غريبة، مقتنعة لها من القوة والسيطرة ما يجعله، لو كان واحداً من أولئك المنطقيين المعقولين الذين ندعي بأننا ننتمي إليهم، يفكر ليل نهار، بتركيز متحمس، وتفكير وبكفاح ذهني عنيف، في الكارثة النهائية التي ستواجه الجنس البشري. أما نحن فلسنا من هذا الطراز، وإنما نحن نعيش في خبراتنا الماضية، لا لحوادث المستقبل مهما كانت لا يمكن تجنبها"^(٢).

لذا لم يسلم شيء من نقد المعري، فقد نقد كل شيء من حوله، من حكام ومحكومين وشعراء، رجالات ونساء، ولم يكتف بنقد الحاضر، بل نقد المستقبل، وما هو ينقد الدنيا كلها ويصورها بصورة قبيحة لينفر الناس منها، فيقول^(٣):

وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابُهُ طَامِثًا لَا تَسْتَقِيمُ لِنَاكِحِ أَقْرَاؤِهَا
هُوَيْتَ وَلَمْ تُسْعِفِ وَرَاحَ غَنِيَّهَا تَعِبًا وَفَازَ بِرَاحَةِ فُقْرَاؤِهَا

فالمعري يريد أن ينفر الناس من الدنيا، فالكثير يرى بهجتها الخارجية، ولذا يخدع بها، ويتمنى وصلها، ولكن المعري يكشف حقيقتها للناس، فما هي إلا نجسة كنجاسة المرأة الحائض، وإذا كانت الحائض، يأتي عليها يوم فتطهر، إلا أن الدنيا

(١) الدكتور طه حسين، وإبراهيم الإبياري، شرح لزوم ما لا يلزم، دار المعارف بمصر، ج ١/ ص ١١٢.

(٢) نيكسون: اللامنتمي ص ١٥.

(٣) اللزوميات ١/ ٤٤ (الطامث: الحائض).

ما تزال في حيزها، وهي صورة يرسمها المعري الفيلسوف، الذي يرى ببصيرته، ما لا يراه الآخرون ، وبالرغم من أن هذه حقيقة الدنيا، إلا أن هواة الدنيا لا يكفون عن اللحاق بها، ولا سيما الأغنياء ، أما الفقراء فهم في راحة ودعة، والمعري يقصد نفسه، فهو فقير من الفقراء، لذا فهو في راحة معهم.

ويختم المعري قصيدته بنهاية مفتوحة تسير مع الزمان والمكان :

وَإِذَا زَجَرْتُ النَّفْسَ عَن شَعْفِ بِهَا فَكَأَنَّ زَجَرَ عَوِيَّهَا إِغْرَاؤُهَا

فالنقاد يقول إن النهاية المفتوحة هي التي تصلح هنا، ففي عالم الأدب يقول النقاد : إن هناك نص مفتوح، ونص مغلق، والنص المفتوح : "ذو سمات بنيوية، تسمح بسيرورة التأمّلات، وتطور وجهات النظر، وتقليب النص، على جوانب مختلفة؛ لاكتشاف ما فيه من كنوز دلالية خفية، وهو الذي تحرّر فيه، الدال من سيطرة المدلول الواحد، ولذلك هو حمّال أوجه ودلالات، وهو طبقات من المعنى، وله سطح ظاهر، وأعماق خفية، وهو بؤرة غنية لإنتاج المعنى" (١).

لذا يختم المعري لزوميته بهذا البيت الذي تحرر فيه الدال، من سيطرة المدلول، فالدنيا ستسير مع الناس الآن، وغدا، وإلى يوم القيامة، طالبة مطلوبة، لا يمكن أن نغلق صفحاتها، ولا يمكن أن ينجو أحد منها، ولا يمكن أن تنفع نصيحة لتجنبها، فحين تأمرهم بالبعد عنها، فكأنك تقول: اقتربوا وتمسكوا بها.

ونحن نشفق في النهاية مع اللامنتمي الذي استسلم للرحيل، فنضح به فكره، وفنه، وجوارحه، فبدلاً من المواجهة، نراه يتمنى الموت؛ راحة من الدنيا، ويقول (٢) :

ربّ متى أرحل عن هذه الدنيا فإني قد أطلت المقام

(١) دكتور رجب أحمد عبد الرحيم، البدايات والنهايات في القصص القرآني، جائزة دبي الدولية

للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ٢٠١٨م. ص ٣٣٢.

(٢) اللزوميات ٢ / ٣٣٣.

لم أدر ما نجمي ولكنه
والعيشُ سُقْمٌ للفتى مُنصبٌ
في النحس مذ كان جرى واستقام
والموتُ يأتي بشفاء السقام

بل يرى المعري أن سعده، وفطره، ويوم عيده، سيكون يوم موته (١) :

أنا صائم طول الحياة وإنما
فطري الحِمَامُ ويوم ذاك أُعِيدُ

ومن عجيب شخصية اللامنتمي عند أبي العلاء، أنه لا يكتفي أن يكون لا منتميا
في الدنيا، بل يريد أن يكون لا منتميا في قبره، فهو يطلب أن يوسد في مكان، لم
يمسه جسد بشر (٢) :

إذا حان يومي فلأوسد بموضع
من الأرض لم يحفر به أحد قبرا

بل يذهب أبعد من ذلك، فهو يريد ألا يحشر مع الناس في الآخرة (٣) :

فيا ليتني لا أشهد الحشر فيهم
إذا بعثوا شعنا رؤوسهم عُبرا

(١) اللزوميات ١ / ٢٤٩ .

(٢) السابق ١ / ٣٤٨ .

(٣) السابق ١ / ٣٤٨ .

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الشيقة مع اللامنتمي في شخصية المعري وأدبه، توصلنا - بعون الله تعالى - للنتائج الآتية:

- أغرى المصطلح (اللامنتمي) بعض الكتاب إلى استخدامه، كمنظور نقدي، حدث ذلك في نقد وتحليل كثير من القصص والروايات، ولم نجد - فيما نعلم - دراسة تناولته في الشعر العربي، وكانت هذه الدراسة - بعون الله - هي أول دراسة تناولت هذا الموضوع، عند شاعر وأديب مثل كل صفات المنتمي في حياته، وفي أدبه.
- ديوان اللزوميات يمثل مرحلة النضج عند المعري، ويمثل اللامنتمي أشد تمثيل.
- من الأشياء التي أدت لعدم انتماء المعري في شخصه وأدبه هو ظروف عصره السياسية والاجتماعية، وما ألم به من نكبات أهمها العمى.
- اللامنتمي إنسان مرهف الحس جدا ، يفكر أكثر من غيره، ويحلم بمثالية في الأعلى، وعندما لا يصل إلى ما يحلم به، فإنه يعتزل، ويصير لامنتميا.
- اللامنتمي بحسب (كولن ولسون) في كتابه اللامنتمي ، يرى أكثر من اللازم وأعمق من اللازم، ولقد رأينا في دراستنا أن ذلك ينطبق على أبي العلاء المعري في شعره، فهو يرى أكثر من اللازم، وأعمق من غيره، فهو يحس بما لا يحس به غيره، ويشعر بأدق الأشياء التي لا يحس بها ولا يشعر بها كثير من الناس.
- اللزوميات وما فيها من تعقيد لغوي تعد وسيلة المعري للتعبير عن عدم انتمائه، فهو يرسم لنفسه قوانين لغوية يتحدى بها غيره من المنتمين.

- المعري اللامنتمي قام في لزوميته، بنقد الفكر العربي عموماً، وشكك في كل شيء؛ من أجل الوصول للحقيقة، لذا لم يحتج لكي يعبر عما يريده إلى خيال الشعراء، وإلى رقة الوجدان، فجمال الشعر - عنده - أن يلقي هكذا على حقيقته، بدون خيال كبير.
- اتضح من خلال تحليلنا للزومية: (قاف رؤية) أن اللامنتمي عنده ينقسم إلى قسمين: ألتانتماء الداخلي في القصيدة (الرؤية السوداوية)، اللامنتمي الخارجي.
- اتضح من خلال اللامنتمي الداخلي، تبرؤ المعري من نفسه ومن اسمه، ومن كنيته، لذا أثر العزلة، وحرَم على نفسه كل ما تجود به الكائنات الحية من لحم ، أو عسل، أو لبن.
- شبه المعري نفسه بقاف رؤية، وبالفعل قال؛ ليعبر عن علتة القائمة الدائمة .
- غير المنتمي الخارجي في القصيدة- (الرؤية العدوانية) انقسم إلى :
 - ١- عدم الانتماء للحكام
 - ٢- عدم الانتماء للشعراء
 - ٣- عدم الانتماء للفقهاء والقراء والفرق
 - ٤- عدم الانتماء لأهل عصره
 - ٥- عدم الانتماء للدنيا
- الحل الوحيد الذي رآه اللامنتمي (المعري) في الهروب من محتته الوجودية، الهروب للموت فهو يرى أن فيه راحته ونهاية آلامه وأحزانه وشقائه.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- ابن الجوزي، (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ)،
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى
عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- خالد موسى دفع الله، اللامنتمي في أدب الطيب صالح، دار نشر جامعة
الخرطوم، ١٩٩٣م.
- ابن خلكان (٦٨١هـ): وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،
بيروت، ١٩٠٠م.
- رجب أحمد عبد الرحيم، البدايات والنهايات في القصص القرآني، جائزة دبي
الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- السيوطي (الإمام جلال الدين ت ٩١١هـ) ، شرح لامية العجم للطبراني،
تدقيق أحمد علي حسن ، مكتبة الآداب ، القاهرة.
- صالح بن إبراهيم السكاكر، الإنسان الآخر، دار مدارك للنشر، الطبعة
الأولى، فبراير ٢٠١٨م.
- طه حسين ، مع أبي العلاء في سجنه ، مؤسسة هنداوي بمصر ،
٢٠١٤م.
- طه حسين، وإبراهيم الإبياري ، شرح لزوم ما لايلزم ، دار المعارف بمصر .
- العقاد ، رجعة أبي العلاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣/ ١٩٦٧م.
- غالي شكري، المنتمي في أدب نجيب محفوظ، الطبعة الأولى، عام
١٩٦٤م.
- كولن ولسن، اللامنتمي ، دار الآداب ، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م.

- الذهبي (شمس الدين ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م. سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- لقيط بن يعمر الإيادي، ديوانه، شرح وتحقيق: الدكتور محمد التونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- مارون عبود، زبيعة الدهور، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.
- المعري (أبو العلاء)، اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت). رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعرف، القاهرة، ط ٥ / ١٩٦٩م.
- ميخائيل نعيمة، الغربال الجديد، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

ثانياً: الدوريات والرسائل الجامعية

- بحري محمد الأمين، اللامنتمي وخطابه في روايات الطاهر وطار، مجلة الأثر، عدد ٢٣، ٢٤ فيفري، ٢٠١١م.
- رجب أحمد عبد الرحيم حسن، (المسرح داخل المسرح عند صلاح عبد الصبور في مسرحيته ليلى والمجنون)، مجلة اللغة العربية، جامعة الأزهر بجرجا، عدد ١٠، أكتوبر ٢٠٢٠م.
- عبد الكريم ناصيف، اللامنتمي في أدب هاني الراهب: المهزومون أنموذجاً. الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، مج. ٣٧، ع. ٤٤٤، ٢٠٠٨م.

- محمود سليم هياجنة ، اللغة والوجود في التصور العلائني ، اللزوميات أنموذجاً، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، المجلد ١٠ ، العدد ١ ج ، ٢٠١٣ م.
- محمود محمد العامودي، منتقى من شعر الزمخشري لقصيدة رؤية بن العجاج، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٠ م.
- ميسون محمود فخري العبهرى، النقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف الدكتور : إبراهيم الخواجة. جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين. ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

- أنيس زكي حسن المترجم الفذ ومبتكر مصطلح (اللامنتمي)، موقع الناقد العراقي الإلكتروني، ١٢ / ١١ / ٢٠١٨ م.
- سمر الديوب: فيزياء الشعر، لزوميات أبي العلاء المعري أنموذجاً، موقع مجلة نزوى الإلكترونية، ١٣ أغسطس ٢٠١٩ م.
- محمد صادق عبد العال، العنوان بوابة النص ، موقع الألوكة الإلكتروني، ٢٠١٨/٢/١٨ ميلادي - ١٤٣٩/٦/٢ هجري.
- محمد عبيد الله ، أبو العلاء المعري: المبصر في جوقة العميان، مجلة الكلمة الإلكترونية، العدد ١٢٣، يوليو ٢٠١٧ م.
- نوح الكرامة ، في طبيعة اللامنتمي، صحيفة الدستور الإلكترونية، عمان ، تم نشره في الجمعة ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٥ . ٠٢:٠٠ مساءً.